الجهاد

فَصْلٌ

في قولِهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الصف: ١١].

هذهِ تجارةٌ ـ عافاكَ الله ـ مربحة، ونجاةٌ، مَن حطَّهُ حلَّ به عذابٌ دائمٌ أليم، وأغلالٌ وهوانٌ مقيم، ورأسُ مالِكَ فيها الإيمانُ بخالقك، والجهادُ في سبيلِ مُحييكَ ورازقِك، قالَ الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١]، فزادَ في التجارةِ مع النجاةِ من النارِ الجنَّة، فصارَ الربحُ ربحين: [١٥٠/أ] سلامتَهُ من النيران، وخلوداً[1] في مراتعِ الجنان.

قالَ مجاهدٌ في قولهِ تعالىٰ: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف: ٢ ـ ٤] نزلتْ في نفرٍ من الأنصار، منهم عبدالله بن رواحة، قالوا في مجلسٍ لهم: لو نعلمُ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ لعملنا به حتَّىٰ نموت، فلمَّا نزلتِ الآياتُ قالَ ابن رواحة: لا أزالُ

(١) في الأصل: وخلود.

حبيساً في سبيلِ الله حتىٰ أموت، فقُتل شهيداً، رحمةُ الله عليه[1].

ولقد بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدالله بن رَواحة في سريَّة، فغدا الجيش، وأقامَ عبدالله بن رواحة ليشهدَ الصلاةَ مع رسولِ الله ﷺ، فلمَّا قضىٰ صلاتَهُ قال: «**يا ابنَ رَواحة، ألم تكنْ في الجيش**»؟ قال: بلىٰ يا رسولَ الله، ولكن أحببتُ أن أشهدَ الصلاةَ معك، وقد علمتُ منزلتهم، فأروحُ وأدركهم، قال: «**والذي نفسي بيده، لو أنفقتَ ما في الأرضِ ما أدركتَ فضلَ غَدوتهم**»[2].

وروِيَ من حديثٍ آخرَ أنَّه قالَ ﷺ لعبدالله بن رواحة: «**أو غدوةٌ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[3].

وروىٰ ابن المبارك عن سفيان، عن زيد العمِّي، عن أبي إياس، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ لكلِّ أمَّةٍ رهبانية، ورهبانيةُ هذه الأمةِ الجهادُ في سبيلِ الله**»[4].

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٥٨، تفسير الطبري ٢٢/٦٠٧، تفسير القرطبي ١٨/٧٩.

(٢) لفظه من كتاب الجهاد لابن المبارك (١٤)، وهو من مراسيل الحسن البصري رحمه الله. ورواه الترمذي في السنن (٥٢٧) وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وضعفه له في ضعيف الترمذي، ورواه البغوي في شرح السنة (١٠٥٧)، وذكره الزيلعي في نصب الراية ٢/٢٠٠ وأورد قول البيهقي أن شعبة تفرد به، وأنه ضعيف.

(٣) هكذا في الأصل، وهو من كتاب الجهاد لابن المبارك أيضًا (١٨) ولكن أورده المؤلف ناقصًا، ولفظه فيه: «روحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، أو ما عليها». وحديث أبي هريرة عند مسلم (١٤٤) وغيره، ولفظه فيه: «ولروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها».

(٤) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٦)، مسند أبي يعلىٰ (٤٢٠٤) وذكر محققه أن إسناده ضعيف، وأحمد في المسند (١٣٨٠٧)، وضعف إسناده الشيخ شعيب أيضًا، بسبب زيد العمي.

وروىٰ ابن المبارك عن ابن عون، عن هلال بن أبي زينب، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: [١٥٠/ب] ذُكِرَ الشهداءُ عند النَّبيِّ ﷺ فقال: «**لا تجفُّ الأرضُ من دمهِ حتَّىٰ تبتدرَهُ زوجتاه، كأنَّهما ظئرانِ أضلَّتا فصيلَيهما في بَراحٍ من الأرض**[(١)]**، بيدِ كلِّ واحدةٍ منهما حُلَّةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[(٢)].

وروىٰ ابن المبارك عن عتبة[(٣)] بن أبي حكيم قال: حدَّثني حصين بن حرملة النهدي قال: حدَّثني أبو مصبِّح الحمصي قال:

بينما نحن نسيرُ بأرضِ الرومِ في صائفةٍ[(٤)] عليها مالك بن عبدالله الخثعمي[(٥)]، إذ مرَّ مالكٌ بجابر بن عبدالله وهو يمشي ويقودُ بغلةً له، فقال له مالك: أي أبا عبدالله، اركبْ فقد حملكَ الله، قالَ جابر: أصلحُ دابَّتي وأستغني عن قومي، وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من اغبرَّتْ قدماهُ في سبيلِ الله حرَّمَهُ الله علىٰ النار**». فأعجبَ مالكًا[(٦)] قولُه، وسكت، حتَّىٰ إذا كان

---

(١) في الأصل: «كأنَّهما طيرانِ أضلَّتا فصيلَهما في مراحٍ من الأرض»، والمثبت من مصدره. والظئر: المرضِع. والفصيل: ولد الناقة بعد فطامه وفصله عن أمه. والبراح: الأرض الواسعة التي لا بناء ولا زرع فيها. وتتمته في المصدر هكذا: «من الأرض بيداء، وفي يد...». كما ورد في الأصل والمصدر «فصيلَهما»، والمثبت من ابن ماجه وغيره.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٩). ورواه بسنده ابن ماجه (٢٧٩٨)، ومثله عبدالرزاق في المصنف (١٠٢٨٧)، وكذلك أحمد في المسند (٧٩٥٥) وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٣) في الأصل «عبيد». والمثبت من مصدره.

(٤) هي الغزوة تكون في أول الصيف. شرح غريب ألفاظ المدونة ص ٥٦.

(٥) من أبطال الإسلام، من فلسطين. ذكر أن له صحبة ولم يصح. قاد جيوش الصوائف أربعين عامًا. وكان ذا حظ من صيام وقيام وجهاد. ت نحو ٦٠ هـ. سير أعلام النبلاء ٤/١٠٩.

(٦) في الأصل: مالك.

حيثُ يُسمِعهُ الصوت، ناداهُ بأعلىٰ صوته: أي أبا عبدالله، اركبْ فقد حملكَ الله، فعرفَ جابرٌ الذي أراد، فأجابَهُ، ورفعَ صوته، فقال: أُصلِحُ دابَّتي وأستغني عن قومي، وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من اغبرَّتْ قدماهُ في سبيلِ الله حرَّمَهُ الله علىٰ النار**». فتواثبَ النَّاسُ عن دوابِّهم، فما رأيتُ يوماً أكثرَ ماشياً منه[1].

وروىٰ ابنُ المبارك عن هشام الدَّستوائي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن عامر العقيلي، أنَّ أبا هريرة حدَّثه، أنَّ رسولَ الله ﷺ [١٥١/أ] قال: «**عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ يَدخلون الجنَّة، وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون النَّار، فأمَّا أوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون الجنَّة: الشهيد، وعبدٌ مملوكٌ أحسنَ عبادةَ ربِّهِ ونصحَ لسيِّده، وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيال. وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون النَّار: أميرٌ متسلِّط، وذو قدرةٍ من مالٍ لا يُعطي حقَّه، وفقيرٌ فَخور**»[2].

وروىٰ ابنُ المبارك عن جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، عن عكرمة بن أبي جهل، أنَّه ترجَّلَ يومَ كذا، فقالَ له خالد بنُ الوليد: لا تفعل، فإنَّ قتلكَ علىٰ المسلمين شديد، فقال: خلِّ عنِّي يا خالد، فإنَّه قد كانت لكَ

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٣٢، ٣٣)، ورواه بسنده مع القصة ابن حبان في صحيحه (٤٦٠٤) وقال محققه: حديث صحيح. ومن رواية أبي عبس رواه البخاري في صحيحه (٩٠٧) بدون القصة.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (٤٦)، وقسمه الأول في سنن الترمذي (١٦٤٢) وقال: حديث حسن. وضعفه له الألباني، شعب الإيمان (٨٢٤٦)، المستدرك (١٤٢٩)، مسند أحمد (٩٤٩٢) وقال محققه: إسناده ضعيف. وجاء في الأصل «ذو قدرة من ماله»، وتصحيحه من مصدره وغيره. كما جاءت آخر كلمة في المخطوط «فجور»، والمثبت من المصدر المطبوع، ولكنه في المستدرك للحاكم أيضًا «فجور».

مع رسولِ الله ﷺ سابقة، وإنِّي وأبي كنَّا من أشدِّ النَّاسِ علىٰ رسولِ الله ﷺ. فمشَىٰ حتَّىٰ قُتل[1].

وروىٰ ابن المبارك عن معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن الحارث بن هشام[2]، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**رأيتُ في المنامِ كأنَّ أبا جهلٍ أتاني فبايعني**». فلمَّا أسلمَ خالد بنُ الوليد قيل: صدَّقَ الله رؤياكَ يا رسولَ الله بإسلامِ خالد[3]، فقال: «**ليكوننَّ غيره**»، حتَّىٰ أسلمَ عكرمة بنُ أبي جهل، فكان ذلك تصديقَ رؤياه[4].

وروىٰ ابن أبي مليكة قال: كان عكرمة بن أبي جهل يأخذُ المصحفَ فيضعهُ علىٰ وجههِ ويبكي، ويقول: كتابُ ربِّي، كلامُ ربِّي[5].

وروىٰ عاصم بن بهدلة عن أبي وائل قال: لمَّا حضرتْ خالد بنَ الوليد الوفاةُ قال: طلبتُ [١٥١/ب] القتلَ مظانَّه، فلم يقدَّرْ لي إلَّا أن أموتَ علىٰ فراشي، وما كان من عملي شيءٌ أرجَىٰ عندي بعد لا إله إلَّا الله من ليلةٍ بتُّها وأنا متترِّسٌ بترسي، والسماءُ تهلُّني[6]، ننتظرُ الصبحَ حتَّىٰ نُغِيرَ علىٰ الكفَّار.

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٥٤)، السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٧٩٢٠).

(٢) في المصدر: عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث.

(٣) للقرابة الشديدة بينهما، فهو ابن عمه: خالد بن الوليد بن المغيرة، وأبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٤٢٧، ٣/١٠٨٢.

(٤) كتاب الجهاد لابن المبارك (٥٥).

(٥) السنة لعبدالله بن أحمد ١/١٤٠، تاريخ مدينة دمشق ٤١/٦٧، ٦٨.

(٦) في الأصل «تهملني»، وفي مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا «تهلبني». والمثبت من مصدره الأساسي (الجهاد) ومن بغية الطلب، وتاريخ دمشق.

ثمَّ قال: إذا أنا متُّ فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوهُ عدَّةً في سبيلِ الله.

فلمَّا توفيَ خرجَ عمرُ رضي الله عنه في جنازتهِ وقال: ما علىٰ نساءِ آلِ الوليد أن يسفحنَ علىٰ خالدٍ من دموعهنَّ، ما لم يكن نقعاً أو لقلقة.

النَّقع: الترابُ علىٰ الرأس، واللقلقة: الصوت[1].

فَضْلٌ

في قولهِ تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾

بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

أكرمَ الله تعالىٰ الشهداء، بأن جعلَهم أحياءً قبلَ يومِ القيامة.

روىٰ ابنُ عباس وابن مسعود وجابر بن عبدالله، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أرواحَ الشهداءِ في حواصلِ طيرٍ خُضر، تَرِدُ أنهارَ الجنَّة، وتأكلُ من ثمارها**»[2].

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٥٣)، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٧٧)، المعجم الكبير للطبراني (٣٨١٢)، تاريخ مدينة دمشق ٢٦٩/١٦، بغية الطلب ٣١٦٢/٧. وبيان الكلمات الأخيرة من قبل عبدالله بن المختار، الراوي عن عاصم بن بهدلة.

(٢) جزء من حديث رواه ابن المبارك من حديث ابن عباس في كتابه الجهاد (٦٢)، وابن عاصم كذلك في كتابه الجهاد (٥٢، ١٩٣). وأصله في صحيح مسلم (١٨٨٧) ولفظه: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي=

۞ **فإن قالَ قائل**: هذا مثلُ قولِ أهلِ التناسخ.

۞ **فالجواب**: أنَّ أهلَ التناسخِ يقولون إنَّها تعودُ إلىٰ الدنيا، والشهداءُ أحياءٌ عند ربِّهم، قيل: معناهُ أنَّهم ليسوا في الدنيا، وقيل: في علمِ ربِّهم.

وروىٰ ابنُ المبارك عن ابن جريج، عن مجاهد في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [١٥٢/أ]، قال: يُرزقون من ثمارِ الجنَّة، ويجدون ريحَها وليسوا فيها(١).

وروىٰ ابنُ المبارك عن إبراهيم بن هارون الغنوي، عن مسلم(٢) بن شدّاد، عن عبيد بن عمير، عن أُبيٍّ بن كعب قال: الشهداءُ في قباب، في رياضٍ بفناء الجنَّة، يُبعَثُ لهم حوتٌ وثور، فيعتركان، فيَلهُون بهما، فإذا اشتهَوا الغداءَ عقرَ أحدُهما صاحبه، فأكلوا من لحمه، فيجدون في لحمهِ طعمَ كلِّ طعامٍ في الجنَّة، وفي لحمِ الحوتِ طعمَ كلِّ شرابٍ في الجنَّة(٣).

وروىٰ ابنُ المبارك عن زائدة بن قدامة قال: أخبرني ميسرةُ الأشجعي،

= ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن تردَّ أرواحنا في أجسادنا حتىٰ نُقتل في سبيلك مرة أخرىٰ، فلما رأىٰ أن ليس لهم حاجة تركوا». وبدا كأنه من كلام عبدالله بن مسعود ﷺ، ولكن بيَّن الإمام النووي ﷺ في شرحه علىٰ مسلم أنه مرفوع.

(١) كتابه الجهاد (٥٩).

(٢) في الأصل: سلم.

(٣) كتاب الجهاد لابن المبارك (٦٠)، ما ذكر في فضل الجهاد لابن أبي شيبة (٤٨)، ومصنفه (١٩٦٩٦)، الكنىٰ والأنساب للدولابي (١٩٨٦). ورواه الطبراني في كلام طويل بألفاظ أخرىٰ من قول عبدالله بن عمرو، وذكر الحافظ الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح خلا عبد الرحمن بن البيلماني وهو ثقة. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥/٢٩٨.

عن عكرمة، عن ابن عباس، عن كعب أنَّه قال: جنَّةُ المأوىٰ فيها طيرٌ خضرٌ ترعَىٰ فيها أرواحُ الشهداء[1].

قولهُ تعالىٰ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: وكيف لا يفرحون وقد ميَّزهم من الأمواتِ بالحياةِ والتنعُّم، وينتظرون في البعثِ الخلودَ مع الصالحين من الأمم؟

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ قيل: فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم يستبشرون بإخوانهم من المسلمين الشهداء، وأنَّ لهم من كرامةِ الله تعالىٰ مثلما نالوه.

والثاني: أنَّهم أُعلِموا بمن يُلحَقُ بهم من شهداءِ المسلمين، فهم يستبشرون بقدومِهم عليهم كما يستبشرُ أهلُ الغائبِ بقدومه[2].

وإنَّما أُعطيَ[3] للشهداءِ الحياةُ قبلَ يومِ القيامةِ [١٥٢/ب] دونَ أهلِ الطاعاتِ والصالحين؛ لأنَّهم سَخَوا بنفوسهم لله تعالىٰ، وباعوا نفوسَهم لله تعالىٰ بالجنَّةِ حتَّىٰ طلبوا الشهادة.

وقد رويَ أنَّ أعرابيًّا جاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فبايعه، فوصَّىٰ به أصحابه، ثمَّ نهضوا في سريَّةٍ فغنموا، فقسَمَ رسولُ الله ﷺ الغنائم، وجعلَ للأعرابيِّ

(١) الجهاد لابن المبارك (٦١)، وفيه «ترتعي» بدل «ترعىٰ». ورواه أبو نعيم في الحلية ٥/٣٨١، وفيه «يرفع» بدل «ترعىٰ».

(٢) ينظر تفسير الطبري ٦/٢٣٨، والدر المنثور للسيوطي ٢/٣٧٦.

(٣) في الأصل «اعطوا».

نصيباً، فقال: يا محمَّد، ما بايعتُكَ على هذا، وإنَّما بايعتُكَ على أن يصيبَني سهمٌ ها هنا ـ وأشارَ إلى عنقهِ ـ فأموت، فأدخلَ الجنَّة.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنْ صدَقَ الله صدَقه**». فما لبثَ إلَّا قليلاً حتَّى خرجوا في غزاة، فجيءَ به إلى النَّبيِّ ﷺ وقد أصابَهُ سهمٌ في الموضعِ الذي أشارَ إليه بيدهِ فقتله، فقالَ ﷺ: «**صدَقَ اللهَ فصدَقه**»[1].

وقد كان الجهادُ لمَّا فُرِضَ عليهم كرهوه، قالَ الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فلمَّا بيَّنَ الله تعالى لهم ثوابَ الجهادِ وجزاءَ الشهداءِ رغبوا فيه، وحرَصوا عليه، وكان ذلك قصداً للطاعةِ والتصديق، وإخلاصاً لله، فجازاهم الله بالحياة، وميَّزهم من أهلِ الطاعات.

روى ابنُ المبارك عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: كان عمِّي أنس بن النَّضر لم يشهدْ [١٥٣/أ] بدراً مع رسولِ الله ﷺ، فكبرَ عليه، فيقول: أولُ مشهدٍ مع رسولِ الله ﷺ غبتُ عنه؟ أما والله لأن أرانيَ الله مشهداً مع رسولِ الله ﷺ فيما بعدُ ليرينَّ الله ما أصنع! فشهدَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ أُحدٍ من العامِ المقبل، فاستقبلَهُ سعد بنُ معاذ، فقال: يا أبا عمرو، إنَّها لريحُ الجنَّةِ أجدُها دونَ أُحد! فقاتلَ حتَّى قُتل. ووُجِدَ في جسدهِ بضعٌ وستُّون أثراً،

---

(١) أورده المؤلف مختصرًا، وقد رواه النسائي في السنن الكبرى (٢٠٩١) من حديث شداد بن الهاد، وصححه له في صحيح النسائي، ورواه الحاكم في المستدرك (٦٥٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٨١٧)، والطبراني في الكبير (٧١٠٨). وصححه في صحيح الجامع (١٤٢٠).

من بين ضربةٍ ورميةٍ وطعنة. فقالت عمَّتي الرُّبيِّع بنتُ النَّضر: فما عرفتُ أخي إلَّا ببنانه، قال: فنزلتْ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. نَحبه: نَذره[١].

وروىٰ ابنُ عباس قال: كان عمرو بن الجموح ـ شيخٌ[٢] من الأنصارِ ـ أعرج، فلمَّا خرجَ النَّبيُّ ﷺ إلىٰ بدرٍ قالَ لبنيه: أخرجوني. فذكروا للنَّبيِّ ﷺ عرَجَهُ وحاله، فأذنَ له في المقام. فلمَّا كان يومُ أُحدٍ خرجَ النَّاس، فقالَ لبنيه: أخرجوني، فقالوا: قد رخصَ لكَ رسولُ الله ﷺ وأذنَ لكَ في المقام، فقال: هيهات، منعتموني الجنَّةَ ببدر، وتنمعونيها بأُحد؟ فخرج، فلمَّا التقَىٰ الناسُ قال: يا رسولَ الله، إن قُتلتُ [١٥٣/ب] اليومَ أطأُ بعرجتي هذه الجنَّة؟ قال: «نعم»، قال: والذي بعثكَ بالحقِّ لأطأنَّ بها الجنَّةَ إن شاءَ الله. فقالَ لغلامٍ له كان معه يقالُ له سليمان: ارجعْ إلىٰ أهلك، قال: وما عليكَ أن أُصيبَ معك خيراً؟ قال: فتقدَّمْ إذن، فتقدَّمَ الغلام، فقاتلَ حتَّىٰ قُتل، ثمَّ تقدَّمَ هو فقاتلَ حتَّىٰ قُتل[٣].

وروىٰ سليمان بن أبان، أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا خرج إلىٰ بدر، أرادَ سعد بن خيثمة وأبوهُ أن يخرجا جميعاً، فذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فأمرهما أن يخرجَ أحدُهما، فاستهما، فخرجُ سهمُ سعد، فقالَ أبوه: آثرني بها يا بنيّ، فقال: يا

(١) الجهاد لابن المبارك (٧٦). والخبر في صحيح البخاري (٢٨٠٥) وغيره.
(٢) هي هكذا في المصادر أيضًا، وليس في الأصل وحده، بتقدير: هو شيخ.
(٣) كتاب الجهاد لابن المبارك (٧٨)، السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٧٨٢١).

أبه، إنَّها الجنَّة، لو كان غيرها آثرتُكَ به. فخرجَ سعدٌ مع النَّبيِّ ﷺ، فقُتِلَ يومَ بدر، ثمَّ قُتِلَ خيثمةُ يومَ أُحدٍ في العامِ المقبل[1].

وروىٰ ابن المبارك عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيِّب قال: قال عبدالله بن جحش يومَ أُحد: اللَّهمَّ أُقسِمُ عليكَ أن نلقَىٰ العدوّ، فإذا لقِينا العدوَّ أن يقتلوني، ثمَّ يبقروا بطني[2]، ثمَّ يمثِّلوا بي، فإذا لقيتُكَ سألتني: فيمَ هذا؟ فأقول: فيك. فلقيَ العدوّ، فقُتِل، وفُعِلَ ذلك به. قالَ ابنُ المسيِّب: وإنِّي أرجو أن يَبرَّ اللهُ آخرَ قسَمهِ كما أبرَّ أوَّله[3].

وروىٰ عبدالرَّحمن بن أبي صعصعة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من ينظرُ لي ما فعلَ** [١٥٤/أ] **سعد بنُ الربيع**»؟ فقالَ رجلٌ من الأنصار: أنا يا رسولَ الله.

قال: فخرجَ يطوفُ في القتلىٰ، فوجدَ سعداً جريحاً قد أثبتَ بآخرِ رمق، فقال: يا سعد، إنَّ رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظرَ له أمنَ الأحياءِ أنت أم من الموتَىٰ؟ قال: فإنِّي في الأموات، أبلغْ رسولَ الله ﷺ منِّي السلام، وقلْ له: إنَّ سعداً يقولُ لك: جزاكَ الله عنَّا خيرَ ما جُزِيَ نبيٌّ عن أمَّته، وأبلغْ قومكَ عنِّي السلام، وقلْ لهم: إنَّ سعداً يقولُ لكم: إنَّه لا عذرَ لكم عند الله أن يخلصَ إلىٰ نبيِّكم وفيكم عينٌ تَطرف[4].

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٧٩)، المستدرك للحاكم (٤٨٦٦) وذكر الذهبي أنه مرسل وإسناده ضعيف.

(٢) في الأصل: يبقرون بطني.

(٣) كتاب الجهاد لابن المبارك (٨٥)، مصنف عبدالرزاق (٩٥٥٢)، حلية الأولياء ١/١٠٩، المستدرك للحاكم (٤٩٠٢) وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وعلق الذهبي: مرسل صحيح.

(٤) كتاب الجهاد لابن المبارك (٩٤)، المستدرك للحاكم (٤٩٠٧)، وعلق الذهبي بأنه مرسل.

وروىٰ ابنُ المباركِ عن جرير بن حازم قال: سمعتُ الحسن يقول: حضرَ النَّاسُ بابَ عمر ﷺ، وفيهم سهيل بنُ عمرو، وأبو سفيان بنُ حرب، والشيوخُ من قريش، فخرجَ آذنه، فجعلَ يأذنُ لأهلِ بدر، كصهيبٍ وبلال، فقالَ أبو سفيان: ما رأيتُ كاليوم، يؤذَنُ لهؤلاءِ العبيدِ ونحن جلوسٌ لا يُلتفَتُ إلينا؟ فقالَ سهيل بنُ عمرو[1]: أيُّها القوم، إنِّي والله لقد أرىٰ الذي في وجوهِكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا علىٰ أنفسكم، دُعيَ القومُ ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، ثمَّ أما والله ما سبقوكم به من الفضلِ ممَّا لا ترون أشدُّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسوهم عليه. ثمَّ قال: أيُّها القوم، إنَّ هؤلاءِ قد سبقوكم كما ترون، فلا سبيلَ لكم والله إلىٰ ما سبقوكم إليه، [١٥٤/ب] فانظروا هذا الجهادَ فالزموه، فعسَىٰ الله أن يرزقكم شهادة. ثمَّ نفضَ ثوبَهُ ولحقَ بالشام.

فقالَ الحسن: صدقَ والله، لا يجعلُ الله عبداً أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأَ عنه[2].

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد سوَّىٰ الله تعالىٰ بين السابقين والمتَّبِعين، فقالَ سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فجعلَ السابقين والتابعين في الرضوان سواء؟

❁ **والجواب**: أنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ عليهم بالسبق، وجعلَ اللاحقين

---

(١) خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم. تأخر إسلامه إلىٰ يوم الفتح، ثم حسن إسلامه. وكان سمحًا، جوادًا، مفوَّهًا. استشهد يوم اليرموك. سير أعلام النبلاء ١/١٩٤.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٠٠)، المستدرك للحاكم (٥٢٢٧).

متَّبِعين، وإضافةُ الرضوانِ إليهم لا يوجبُ استواءَهم فيه، بل شملَهم على منازلهم، وذلك مثلُ قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، ومعلومٌ أنَّ منازلَهم في الجنَّةِ مختلفة؛ لقولهِ تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وقولهِ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، كذلك ها هنا.

وقد نصَّ الله تعالى على ذلك بقولهِ تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

روى ابنُ المبارك عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد وثابت، عن أنس بن مالك، أنَّ أبا طلحة[1] قرأَ هذه الآية: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، فقال: أمرَنا الله ﷻ واستنفرنا شيوخاً وشبَّاناً، جهِّزوني، فقالَ بنوه: يرحمُكَ الله، [١٥٥/أ] قد غزوتَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ونحن نغزو عنكَ الآن. فغزا البحر، فمات، فطلبوا جزيرةً يدفنونَهُ فيها، فلم يقدروا عليها إلَّا بعد سبعةِ أيام، وما تغيَّر[2].

ورويَ عن أبي الجهم بن حذيفةَ العدويِّ[3] قال: انطلقتُ يومَ اليرموكِ

---

(١) أبو طلحة الأنصاري النجاري، زيد بن سهل، رضي الله عنه. شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد النقباء. تهذيب الكمال ١٠/٧٥.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٠٤)، المستدرك (٥٥٠٨) وقال: صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي، صحيح ابن حبان (٧١٨٤) وذكر الشيخ شعيب أيضًا أن إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) في الأصل: أبي الحكم حذيفة العدوي. وأبو الجهم اسمه عامر، أو عبيد، صاحب=

أطلبُ ابن عمِّي، ومعي شَنَّةٌ من ماء[1]، وإناء، فقلت: إن كان به رمقٌ سقيتهُ ومسحتُ وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشارَ أي نعم، فإذا رجلٌ يقول: آه، فأشارَ ابنُ عمِّي أن أنطلقَ إليه، فإذا هو هشام بنُ العاص، أخو عمرو، فأتيته، فقلت: أسقيك؟ فسمعَ آخرَ يقول: آه، فأشارَ هشامٌ أن أنطلقَ به إليه، فجئته، فإذا هو قد مات، ثمَّ رجعتُ إلىٰ هشامٍ فإذا هو قد مات، ثمَّ أتيتُ ابنَ عمِّي فإذا هو قد مات[2].

وروىٰ إبراهيم بن حنظلة، عن أبيه، أنَّ سالمًا[3] مولىٰ أبي حذيفة قيلَ له يومَ اليمامة في اللواءِ يحفظه[4]، فإن كنتَ تخشىٰ من نفسِكَ شيئاً فنولِّي اللواءَ غيرَك، فقال: بئسَ حاملُ القرآنِ أنا إذن. فقُطعتْ يمينه، فأخذَ اللواءَ بيساره، فقُطعتْ يساره، فاعتنقَ اللواءَ وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، فلمَّا صُرِعَ قالَ لأصحابه: ما فعلَ أبو حذيفة؟ قيل: قُتل، قال: فما فعلَ فلان، لرجلٍ سمَّاه، فقيل: قُتل، قال: فأضجعوني بينهما[5]. [١٥٥/ب].

روىٰ ابنُ المبارك عن ابن لهيعة قال: حدَّثني عطاء بن دينار، عن أبي

= الأنبجانية. المقتنىٰ في سرد الكنىٰ (١١٩٢). وترجم له ابن عساكر باسم عبيد، وأن له صحبة، ومن مسلمة الفتح. تاريخ مدينة دمشق ١٧٣/٣٨.

(١) الشنة: القربة الصغيرة البالية.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١١٦)، تاريخ مدينة دمشق ٢٠/٧٤.

(٣) في الأصل: سالم.

(٤) في الأصل ومصادر أخرىٰ «اللوىٰ»، هنا وفيما يأتي. وورد بعده «يحفظ». وتسديده من المصادر.

(٥) الجهاد لابن المبارك (١١٨)، أسد الغابة ٣٨٢/٢، معجم الصحابة للبغوي ١٤٤/٣.

يزيد الخولاني قال: سمعتُ فضالة بنَ عبيد قال: سمعتُ عمر بنَ الخطَّاب رضي الله عنه يخبر، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الشهداءُ أربعة: رجلٌ مؤمنٌ جيِّدُ الإيمان، لقيَ العدوَّ وصدَقَ اللهَ عز وجل حتَّىٰ قُتل، فذاكَ الذي يَرفعُ إليه النَّاسُ يومَ القيامةِ أعينَهم هكذا ـ ورفعَ رأسَهُ ـ، ورجلٌ مؤمنٌ جيِّدُ الإيمان، إذا لقيَ العدوَّ فكأنَّما يُضرَبُ جلدهُ بشوكِ الطلحِ من الجبن، أتاهُ سهمٌ غَرْبٌ فقتله، فهو في الدرجةِ الثانية، ورجلٌ مؤمنٌ خلطَ عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً، لقيَ العدوَّ فصدَقَ اللهَ حتَّىٰ قُتل، فذلك في الدرجةِ الثالثة، ورجلٌ أسرفَ علىٰ نفسه، لقيَ العدوَّ فصدَقَ الله حتَّىٰ قُتل، فذلك في الدرجةِ الرابعة**»[1].

ورويَ عن عبدالله بن قيس قال: لقد رأيتُني خرجتُ في غزاةٍ لنا، فدُعيَ النَّاسُ إلىٰ مصافِّهم في يومٍ شديدِ الريح، فالنَّاسُ يثوبون إلىٰ مصافِّهم، فإذا رجلٌ علىٰ فرسٍ له، ورأسُ فرسهِ عند عجزِ فرسي، سمعتهُ يقولُ ولا يشهدني[2]: يا نفس، ألم أشهدْ مشهدَ كذا وكذا فقلتِ لي: ولدكَ وأهلك، فأطعتكِ ورجعت؟ ألم أشهدْ مشهدَ كذا وكذا فقلتِ لي: عيالكَ وأهلك، فأطعتكِ ورجعت؟ أما والله لأعرضنَّكِ [١٥٦/أ] اليومَ علىٰ الله عز وجل، أخذَكِ أو تركَكِ. قال: قلت: لأرمقنَّ هذا، فرمقته، فصفَّ النَّاس، ثمَّ حملوا علىٰ عدوِّهم، فكان في أوائلهم، ثمَّ إنَّ العدوَّ حملَ علىٰ النَّاسِ فانكشفوا، فكان في حُماتهم، ثمَّ إنَّ النَّاس حَملوا فكان في أوائلهم، ثمَّ إنَّ العدوَّ حملَ

---

(١) الجهاد لابن المبارك (١٢٦)، شعب الإيمان (٣٩٥٧)، مسند أبي يعلىٰ (٢٥٢) وذكر محققه أن إسناده ضعيف، سنن الترمذي (١٦٤٤) وقال: حديث حسن غريب، وضعفه له الألباني، مسند أحمد (١٥٠) وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٢) في الجهاد لابن المبارك: لا يشعرني.

فانكشفَ النَّاسُ فكان في حماتهم، [ثمَّ إنَّ النَّاس حملوا فكانَ في أوائلهم، ثمَّ إنَّ العدوَّ حملَ فانكشفَ النَّاسُ فكان في حماتهم][1]، قال: فوالله ما زالَ ذلك دأبَهُ حتَّىٰ مررتُ به فعددتُ به وبدابَّتِهِ ستينَ طعنة، أو قال: أكثرَ من ستينَ طعنة[2].

وروىٰ ابن المبارك عن [السري][3] بن يحيىٰ قال: حدَّثني العلاء بنُ هلال الباهلي، أنَّ رجلاً من قومِ صلةَ قالَ لصلة[4]: يا أبا الصهباء، إنِّي رأيتُ أنِّي أُعطيتُ شُهدةً وأُعطيتَ أنت شُهدتين[5]، فقالَ له صلة: خيراً رأيت، تستشهد، وأستشهدُ أنا وابني. قال: فلمَّا كان يومُ يزيد بنِ زياد[6] لقيهم التركُ بسجستان[7]، فكان أولَ جيشٍ انهزمَ من المسلمين ذلك الجيش، فقالَ صلةُ لابنه: يا بني، ارجعْ إلىٰ أمِّك، فقال: يا أبه، أتريدُ الخيرَ لنفسِكَ وتأمرني بالرجعة؟ أنت والله كنتَ لأمِّي خيراً منِّي. قال: أما إذ قلتَ هذا فتقدَّم. قال: فتقدَّم، فقاتلَ حتَّىٰ أُصيب، فرمَىٰ صلةُ عن جسدهِ ـ وكان رجلاً رامياً ـ حتَّىٰ تفرَّقوا عنه، وأقبلَ يمشي حتَّىٰ وقفَ عليه، فدعا له، ثمَّ [١٥٦/ب]

---

(١) ما بين المعقوفتين ـ تكرار للمرة الثالثة ـ لم يرد في الجهاد لابن المبارك، والمؤلف ينقل منه.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٤٢).

(٣) بدل فراغ في الأصل.

(٤) أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي، الصحابي الجليل. من البصرة. زاهد عابد مجاهد. زوج العالمة معاذة العدوية. قتل في سجستان سنة ٦٢ هـ. سير أعلام النبلاء ٤٩٧/٣، أسد الغابة ٢٩/٣، صفة الصفوة ٢١٦/٣.

(٥) الشُّهدة: القطعة من العسل.

(٦) يزيد بن زياد بن أبيه، قائد الجند في سجستان وغيرها.

(٧) في بلاد فارس.

قاتلَ حتَّىٰ قُتل[1].

وحكىٰ ثابت البناني عن معاذة امرأةِ صلة، أنَّه لمَّا جاءها نعيُ ابنها وزوجها، وذُكِرَ لها كيف قُتلا، جاءها النِّساء فقالت: إن كنتنَّ جئتنَّ تهنِّئننا بما أكرمَنا الله به فذاك، وإلَّا فارجِعن[2].

قال ثابت: وكان صلة يأكلُ يوماً، فجاءَهُ رجلٌ فقالَ له: ماتَ أخوك، فقال: إن ماتَ فقد نُعيَ إليَّ، اجلس، فقالَ الرجل: ما سبقني إليكَ أحد! فقال: قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3] [الزمر: ٣٠].

وقال حميد بن هلال: إنَّ الأسود بنَ كلثوم[4] لمَّا خرجَ غازياً قال: اللَّهمَّ إنَّ هذه نفسي تزعمُ في الرخاءِ أنَّها تحبُّ لقاءك، فإن كانت صادقةً فارزقها، وإن كانت كاذبةً فاحملها عليه وإن كرهت، واجعلهُ قتلاً في سبيلك، وأطعمْ لحمي سباعاً وطيراً. قال: فانطلقَ في طائفةٍ من ذلك الجيشِ حتَّىٰ دخلوا حائطاً فيه ثُلمة، وجاءَ العدوُّ حتَّىٰ قاموا علىٰ الثُّلمة، فخرجَ وأصحابه، فكثرَ العدوُّ علىٰ الثلمة، فنزلَ عن فرسه، وضربَ وجهه، فخرجَ غائراً، وعمدَ إلىٰ ماءٍ كان في الحائط، فتوضَّأ منه، ثمَّ صلَّىٰ، فقالَ العدوّ: هكذا استسلامُ العرب. فلمَّا

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٥٤)، حلية الأولياء ٢/٢٤٠، سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٨.

(٣) حلية الأولياء ٢/٢٣٨، سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٩.

(٤) الأسود بن كلثوم العدوي. حديثه في البصريين. يروي المراسيل، من عبّاد أهل البصرة. كان يأوي المقابر بالليل فيتعبد بجنبها إلىٰ الصباح. وله ذكر في الفتوح، وهو الذي فتح بيهق، أمّره ابن عامر علىٰ الجيش، فقتل يوم الفتح سنة إحدىٰ وثلاثين. قتل بأبرشهر من بلاد خراسان. الطبقات لخليفة بن خياط ص ٣٣٠، الثقات لابن حبان ٤/٣٢. الإصابة في تمييز الصحابة ١/٣٤١.

قضىٰ صلاتَهُ[1] قاتلهم حتَّىٰ قُتل، فمرَّ عظيمُ ذلك الجيش الذي كان فيه علىٰ الحائطِ وفيهم أخوه، فقيلَ له: ألا تدخلُ إلىٰ الحائطِ فتنظرَ ما أصبتَ من عظامِ أخيك فتجنَّه[2]، قال: ما أنا بفاعلٍ شيئاً دعا به أخي فاستُجيبَ له[3].

وروىٰ ابن المبارك [١٥٧/أ] عن جرير بن حازم، عن الحسن قال: قالَ رجلٌ من أهلِ الباديةِ لعمر: يا خيرَ النَّاس، يا خيرَ النَّاس. فقال: ما يقول؟ فقيل: يقول: يا خيرَ النَّاس، فقال: ويحك! إنِّي لستُ بخيرِ النَّاس، فقال: والله يا أميرَ المؤمنين إن كنتُ لأراكَ خيرَ النَّاس، قال: أفلا أخبركَ بخيرِ النَّاس؟ رجلٌ بلغَهُ الإسلامُ وهو في بلدهِ وأهلهِ وماله، فعمدَ إلىٰ صِرمةٍ من إبله، فحدَرها إلىٰ دارٍ من دورِ الهجرةِ فباعها، وجعلَ منها عُدَّةً في سبيلِ الله ﷻ، وجعلَ لا يصبحُ ولا يمسي إلَّا وهو بين المسلمين وبين عدوِّهم، فذلك خيرُ الناس. قال: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي رجلٌ من أهلِ البادية، وإنَّ لي أشغالاً، وإنَّ لي وإنَّ لي، فأوصني بأمرٍ يكونُ لي نفعهُ وأَبلُغُ به، فقال: أرني يدك، فأعطاهُ يده، فقال: تعبدُ الله ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيت، وتعتمر، وتسمعُ وتطيع، وعليكَ بالعلانية، وإيَّاك والسرَّ، وعليكَ بكلِّ شيءٍ إذا ذُكرَ ونُشِرَ لم تستحي منه ولم يَفضحك، وإيَّاكَ وكلَّ شيءٍ إذا ذُكرَ ونُشِرَ استحييتَ منه وفضحك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أفأعملُ بهذا فإذا لقيتُ ربِّي ﷻ قلت: أمرني بهنَّ عمر؟ قال:

---

(١) في الأصل: صلاتهم.

(٢) يعني تغطيه.

(٣) الجهاد لابن المبارك (١٥٦)، الزهد لأحمد (١١٥٣)، سير السلف الصالحين لقوام السنة ص ٦٩٢.

خذهنَّ، فإذا لقيتَ ربَّكَ فقلْ ما بدا لك[1].

ورويَ عن عمر رضي الله عنه قال:

كنتُ عند رسولِ الله [١٥٧/ب] ﷺ وعندهُ فئامٌ من النَّاس، فجاءَ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أيُّ النَّاسِ خيرٌ منزلةً عند الله تعالىٰ بعد أنبيائهِ وأصفيائه؟ فقال: «**المجاهدُ في سبيلِ الله بنفسهِ وبماله، حتَّى يأتيَهُ دعوةُ الله عز وجل وهو علىٰ متنِ فرسهِ أو آخذٌ بعنانه**»، قال: ثمَّ من يا نبيَّ الله؟ قال: فخبطَ بيدهِ وقال: «**امرؤٌ بناحيةٍ يُحسِنُ عبادةَ الله عز وجل، ويدَعُ النَّاسَ من شرِّه**»، قال: فأيُّ النَّاسِ شرّ؟ قال: «**المشركُ بالله**»، قال: ثمَّ من؟ قال: «**ذو سلطانٍ جائر، يجورُ عن الحقِّ وقد مُكنَ له**»[2].

رويَ أنَّ أبا عبيدة حُصِرَ بالشام، وتألَّبَ عليه العدوّ، فكتبَ إليه عمر بنُ الخطاب، رضي الله عنهم: أمَّا بعد، فإنَّه ما نزلَ بعبدٍ مؤمنٍ من ضُرٍّ أو شدَّةٍ إلَّا جعلَ الله بعدها فرَجاً، ولا يَغلبُ عسرٌ يسرَين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، قال: فكتبَ إليه أبو عبيدة: سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإنَّ الله عز وجل يقولُ في كتابه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ إلىٰ ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، قال: فخرجَ عمرُ رضي الله عنه بكتابهِ مكانه، فصعدَ علىٰ المنبر، فقرأهُ علىٰ أهلِ المدينة، فقال: يا أهلَ

(١) الجهاد لابن المبارك (١٦٤)، شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن (٣١). والصرمة: القطعة. وحدرها: نزل بها.

(٢) الجهاد لابن المبارك (١٦٥)، مسند أبي داود الطيالسي (٣٦)، مسند الفاروق لابن كثير (٦٢٤) من رواية الطيالسي، وهو نفسه عند ابن المبارك، وقال: إسناده جيد، لكن فيه رجل مبهم لم يسمَّ.

المدينة، إنَّما يُعرِّض بكم أبو عبيدةَ أن ارغبوا في الجهاد[1].

روىٰ ابنُ المبارك عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن يحيىٰ بن جعدة[2]، [١٥٨/أ] عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال: لولا ثلاث: لولا أن أسيرَ في سبيلِ الله ﷻ، أو يعفَّرَ جبيني في السجود، أو أقاعدَ قوماً ينتقون طيِّبَ الكلامِ كما يُنتقَىٰ طيِّبُ الثمر، لأحببتُ أن أكونَ لحقتُ بالله ﷻ[3].

وحكيَ عن الحسن أنَّه قال: أغميَ علىٰ رجلٍ من الصدرِ الأول، فبكىٰ، فاشتدَّ بكاؤه، فقالوا له: إنَّ الله ﷻ رحيم، إنَّه غفور، فقال: والله ما تركتُ بعدي شيئاً أبكي عليه إلَّا ثلاثَ خصال: ظمأُ هاجرةٍ في يومٍ بعيدٍ ما بين الطرفين، أو ليلةٌ يبيتُ الرجلُ يراوحُ ما بين جبينهِ وقدميه، أو غدوةٌ أو رَوحةٌ في سبيلِ الله[4].

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادهِ عن أبي هريرة، أنَّ رجلاً قال:

يا رسولَ الله، رجلٌ يريدُ الجهادَ في سبيلِ الله ﷻ وهو يبتغي عرَضاً من الدنيا؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا أجرَ له**». فأعظمَ ذلك النَّاسُ، فقالوا للرجل: عُدْ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فلعلَّك لم تفهمه. فقالَ الرجل: يا رسولَ الله، رجلٌ

---

(١) الجهاد لابن المبارك (٢١٧)، الزهد لأبي داود (٧٦)، المستدرك للحاكم (٣١٧٦) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) في الأصل: يحيىٰ بن جعفر.

(٣) الجهاد لابن المبارك (٢٢٢).

(٤) الجهاد لابن المبارك (٢٢٣)، مختصر قيام الليل ص ٦٥، كتاب المحتضرين (٣٣٢). وورد في الأصل: (يروح)، وتسديده من المصدرين الآخرين، وراوح: ناوب بينهما، فقام علىٰ هذه مرة، وتلك مرة. والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر.

يريدُ الجهادَ في سبيلِ الله، وهو يبتغي من عرَضِ الدنيا، فقال: «**لا أجرَ له**». فأعظمَ ذلك، فقالوا: عُد، فذكرَ ثالثةً مثلَ ذلك، وأجابَهُ بمثله[1].

وهذا ـ بصَّركَ الله ـ على ما سألَ السائل، فإنَّه قال: يريدُ الجهادَ ويبتغي عرَضَ الدنيا، وهذا إذا كان مقصودهُ وابتغاؤهُ عرَضَ الدنيا فلا أجرَ له. ويحتملُ أن يكونَ ذلك أيضاً مع تعيُّنِ فرضِ [١٥٨/ب] الجهادِ عليهم، ويحتملُ أيضاً: لا أجرَ له كاملاً، فإنَّ مَن قصدَ الجهادَ وطلبَ الحلالَ من المغنم، فيتبلَّغُ به، ويستعينُ به على الجهاد، لم يحرمهُ ذلك الأجر. والإخلاصُ في طلبِ الثوابِ أفضل.

كما رويَ أنَّ أبا موسى الأشعريَّ قالَ وهو مصافُّ العدوِّ بأصفهان[2]: سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقول: «**إنَّ من أبوابِ الجنَّةِ تحتَ ظلالِ السيوف**»، فقالَ شابٌّ: كيف قلتَ يا أبا موسى؟ فأعادَ عليه الحديث، فالتفتَ الشابُّ إلى أصحابه، فسلَّمَ عليهم، ثمَّ دخلَ تحتَ السيوف[3].

فهذا غايةُ الإخلاص، وهو المقصودُ من الجهاد، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦].

---

(١) الجهاد لابن المبارك (٢٢٧)، سنن أبي داود (٢٥١٦)، وذكر الشيخ شعيب أنه حديث حسن، وقال في حديث مسند أحمد (٨٧٩٣): حسن لغيره، المستدرك (٢٤٣٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) صافَّ الجيشُ عدوَّه: قاتله صفُوفًا، ويُقال: صافَّ القائد جنده: أعدها صفُوفًا. المعجم الوسيط.

(٣) الجهاد لابن المبارك (٢٣٠)، ولابن أبي عاصم ١/١٣٨، صحيح مسلم (١٩٠٢).

فبيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ أمرَهُ لهم بالجهادِ بلاءٌ لهم، واختبارٌ لطاعتِهم وإخلاصِهم، وأنَّ ذلك إن أدَّىٰ إلىٰ قتلِهم فإنَّ لهم بالقتلِ ما هو خيرٌ لهم من الحياةِ في الدنيا.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾، يصلحُ بالهم: أي يصلحُ حالَهم في النعيم، وقيل: بالهم: شأنهم[1].

ثمَّ بيَّنَ الله ﷻ منزلةَ الإخلاصِ والصبرِ فقال: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فإذا أخلصَ وصبرَ نصرَهُ الله، قالَ سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقالَ سبحانه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

حكيَ أنَّ أبا بكر بن عبدالله بن [١٥٩/أ] حويطب قال: كنتُ جالساً عند عبدالله بن عبدالملك، إذ دخلَ شيخٌ من شيوخِ الشامِ يقالُ له أبو بحرية[2] بين شابَّين، فلمَّا رآهُ عبدالله قال: مرحباً بأبي بحرية. وأوسعَ له بيني وبينه، وقال: ما جاءَ بكَ يا أبا بحرية؟ أتريدُ أن أضعكَ من البعث[3]؟ قال: لا أريدُ أن تضعني من البعث، ولكن تقبَّلْ منِّي أحدَ هذين، يعني ابنيه.

ثمَّ قال: من هذا عندك؟ قال: هو يخبركَ عن نفسه، فقال: من أنت؟

---

(١) ذكرهما الطوسي في تفسيره التبيان عند تفسير الآية الخامسة من سورة محمد.

(٢) أبو بحرية عبدالله بن قيس الكندي الحمصي، من كبار التابعين، شهد خطبة عمر بالجابية. كان عالمًا فاضلًا ناسكًا مجاهدًا. وكان معاوية وخلفاء بني أمية يعظمونه. مات في خلافة الوليد. سير أعلام النبلاء ٤/٥٩٤.

(٣) يعني الجند المهيئين للغزو.

فقلت: أنا أبو بكر بن عبدالله بن حويطب، فقال: مرحباً بك وأهلاً يا ابن أخي، أما إنِّي في أوَّلِ جيشٍ ـ أو قال: في أوَّلِ سريَّة ـ دخلتُ أرضَ الروم زمنَ عمر بنِ الخطاب ﷺ، وعلينا ابنُ عمِّكَ عبدالله بن السَّعدي، وإن جُلَّ حمولةِ أقدامِنا لَنعالُنا، وإن جلَّ حمولةِ أزوادنا لرقابُنا، وإن جلَّ ما في رماحِنا القرون، وإن جلَّ ما مع أميرنا من القرآنِ المعوِّذات، وسورٌ من المفصَّلِ قِصار، وما نلقَى من النَّاسِ أحداً يُظَنُّ أنَّه يقومُ بنا، غير أنَّه يا ابن أخي ليس فينا غدر، ولا كذب، ولا خيانة، ولا غلول[1].

والجهادُ ـ عافاكَ الله ـ مع الإخلاص، يَفضُلُ سائرَ الأعمال؛ لأنَّ سائرَ القُرَبِ إنَّما يُنفَقُ فيها الأموالُ أو الأفعال، والجهادُ يُنفَقُ فيه النُّفوسُ والأرواح.

وقد رويَ عن ابنِ عمر أنَّه قال: لَسفرةٌ في سبيلِ الله أفضلُ من خمسينَ حجَّة[2].

وحُكيَ عن ابن [١٥٩/ب] مسعود أنَّه قال: لأن أمتِّعَ بسوطٍ في سبيلِ الله ﷻ، أحبُّ إليَّ من حجَّةٍ في أثرِ حجَّة[3].

---

(١) الجهاد لابن المبارك (٢٦٠)، تاريخ مدينة دمشق ١١٥/٣٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٤١/٧.

(٢) الجهاد لابن المبارك (٢٢٥)، مشارع الأشواق (٢٠٩) قال مؤلفه ابن النحاس: هذا حديث موقوف وأسانيده صحاح، وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد، فسبيله سبيل المرفوع. والله أعلم.

(٣) الجهاد لابن المبارك (٢٢٦)، مصنف ابن أبي شيبة (١٩٧٣٤). ومعناه: لأن أتصدق على نحو الغازي بشيء ولو قليلًا حقيرًا، كسوط يستمتع وينتفع به الغازي أو الحاج، في مقاتلة أو سَوق، نحو دابة... فيض القدير ٢٥٦/٥.